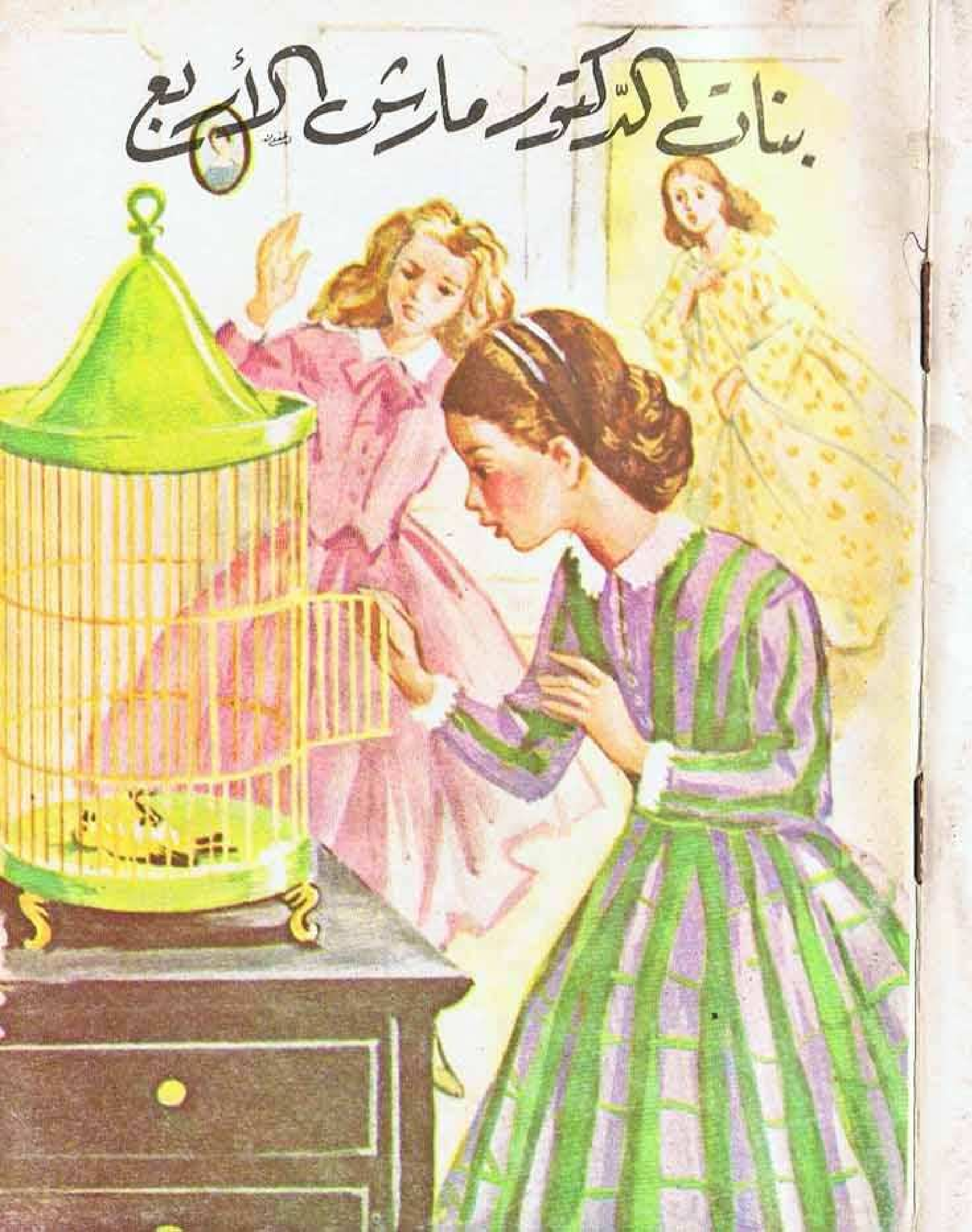


سلسلة الرّياض الزاهرة

منشورات مكتبة سمير

بيروت - شارع غورو - هاتف : ٢٢٦٠٨٥

سلسلة الرّياض الزاهرة

بنات الدّكتور مارش الأربع

تأليف ل. م. الكوث

اقتبـــاس

مخايل صوايا

منشورات مكتبة سمير

تلفون : ٤٤٦٠٨٥ - ٤٤٨٧٩٩ - ٤٨٢٥٤١/٢

تلكس : ٤٠٤٠٥ SAMIR LE ، بيروت ، لبنان

العيد

— العيد بدون هدايا لا يكون عيداً.

بهذه الكلمات تمتمت جنان وهي جالسة على سجادة في غرفة الشتاء تنسج الصوف.

أَجابت اختها زهرة:

— غير ان والدتنا طلبت منا ان نعطي الدراهم التي تأْتينا عيديَّة للجنود المساكين الذين يتأَلمون من البرد، وعلينا أن نفعل ذلك بنفس طيبة.

لكنها أَضافت متنهدة:

— مع ذلك ، كنت أحب من كل قلبي ان يكون عندي في العيد ثوب جديد.

قالت ثريه :

— أما أَنا ، فليس هناك الاَّ شيءٌ واحد يحزنني ، هو أَن والدي ليس بيننا.

وأَضافت أَمينة الصغرى بين أَخواتها :

— أَنا أَيضاً أَشعر شعوركِ يا أُختي !

كان هذا قد حدث في أميركا منذ مئة سنة ؛ اذ ان حرباً هائلة وقعت في ذلك البلد. وكان الدكتور مارش والد الفتيات ، قد خسر ثروته ، وذهب الى الحرب.

دقت الساعة السادسة. فأسرعت ثريه في الحال تجلب حذاءَ أُمها لتدفئه قرب النار. وأَنارت زهرة المصباح ، وأَخذت هناء الطاهية تحضِّر الشاي :

— يا صغيراتي الحبيبات ، عندي مفاجأة طيبة لكُنَّ.

كانت هذه الكلمات خارجة بنغمة ناعمة من فم السيدة مارش التي دخلت في تلك اللحظة ، فترامت الفتيات عليها يعانقنها جميعاً ، فأَضافت :

— هي ذي رسالة من والدكن : إنه في

صحة جيدة وهو من بعيد يقبلكُنَّ بحرارة.

فسألتها أَمينه:

— أما هو عائداً إلينا في وقت قريب.

فهزت الأُم رأْسها قائلة:

— لا، لن يأْتي قبل نهاية الحرب.

عندئذ قالت زهرة:

— علينا أَن نبرهن أننا من أَهل الشجاعة مثله لكي يكون فخوراً بنا.

وأَخذ الأَخوات الأَربع يعملن معاً في نسج مطارف صوفية للعمة مارش العجوز.

كانت زهرة في السادسة عشرة، جميلة بخدين موردين مثل ثمرة الدراق وشعر كستنائي فاتن. منذ سفر والدها كانت تساعد أُمها باعطاء دروس خاصة لأَولاد الجيران.

أَمَّا جنان الثانية، فكانت مثل الصبيان، تُحِبُّ الحركة والركض والضجة. ولكي لا تنشغل بشعرها الجميل الذي كانت زاهية به، فقد كانت تضمه في شبكة. كانت تقضي أكثر ايامها في صحبة العمة مارش، وهي امرأة عجوز كانت تنام بينما تقرأ لها ابنة أَخيها.

وثرية، الثالثة، في الثالثة عشرة. كانت

تمتاز بعذوبتها: تحب العزف على البيانو، وتساعد أُمها.

وأَمَّا رابعتهن، أَمينه، فيصح أَن يقال في وصفها بأَنها لعبة بعينيها الزرقاوين وشعرها الأَشقر «المخوتم».

استيقظت الفتيات الأَربع باكراً في صباح العيد. فوجدت كُلُّ واحدة منهن كتاباً صغيراً تحت مخدتها هدية من السيدة مارش. فنزلت زهرة، وجنان، وثرية بسرعة يشكرن والدتهن ويتمنين لها عيداً سعيداً.

فقالت الوالدة:

— يا صغيراتي الحبيبات، عندي طلب أَطلبه منكُنَّ. كنت في زيارة السيدة كامل المسكينة. هي مريضة. ولانها لا تستطيع ان تذهب الى عملها، فلم يبقَ لأَولادها السبعة شيء يأكلونه. هل أَنْتُنَّ مستعدات ان تتنازلن عن الفطور؟

بدون أَيّ تردد، أَسرعت الفتيات في صَفِّ الفطاير الساخنة والكريما في سلَّة وذهبن مع أُمّهن لزيارة المريضة.

فلمَّا رأَتهن المرأة المسكينة رفعت نظرها الى السماء وهتفت:

— يا رب! أَملائكة هؤلاء أَرسلتَ إليَّ في صباح هذا العيد؟!

فقالت جنان مازحة :

—من المضحك حقّاً ان يظهر الملائكة في قبعات ومعاطف وتنانير، وأحذية شتوية.

فتضاحك الجميع لنكتتها العفوية.

وبعد قليل أُضرمت النار في المدفأة. ففرحت الأَخوات برؤية الفرح على وجوه الأَولاد الصغار ورحن يقدّمن لهن الطعام والحلوى، بينما انشغلت السيدة مارش في اعداد فنجان من الزهور المغلية لتقدّمه للأُم المريضة.

فلمّا عادت اسرة مارش الى البيت، كانت تنتظرها مفاجأة: ان المائدة في غرفة السفرة،

كانت مزينة بالزهور، وملأى بالشطاير (ساندويش) والفطاير، والحلوى، والملبس.

فهتفت زهرة :

—من هذا الذي ارسل إلينا كل هذه الأَشياء؟

أَجَابت السيدة مارش :

—هو جارنا السيد لورنتز العجوز، عالماً أَن والدكن غائب عن البيت، طلب إليَّ أَن أسمح له بأَن يقدم لكُنَّ هذه المفاجأة.

قالت جنان :

ـــ لا شك أَن حفيده لوري هو الذي أَعطاه الفكرة ، سنقول له أَن يأْتي فيلعب معنا : هو دائماً يلعب وحده . لكن ، لا يأْتي بالهيّن لأَنه خجول جداً .

غير أَنَّ المصادفة سهلت الأمر . فانَّ زهرة وجنان دُعيتا الى سهرة راقصة بمناسبة أَول السنة الجديدة . ارادت زهرة أَن تخوتم شعرها . وتبرعت جنان لمساعدتها فما كان منها الاّ أَن أَحرقت أَهداب جنان بمكوى تجعيد الشعر .

فنظرت زهره الى وجهها في المرآة ، وراحت تبكي وتقول :

ـــ انظرنَ الى بشاعتي ، مَن بعد الآن ، يرضى أَن يراقصني ؟ !

أَجَابت جنان :

ـــ إذا كنت تستحين أَن تظهري على هذا الشكل فردّي شعرَك على جبهتك واعقدي به شريطة ، فتظهري أَجمل بكثير .

فتعزت زهرة بكلام اختها وساعدتها في صنع قبة بيضاءَ لتغطية زمة في أَعلى فستانها من جهة الظهر .

أَخذ قلب كُلّ من الفتاتين يخفق بقوة لمَّا دخلتا القاعة . وقد وجدت زهرة أَصدقاءَ ودُعيت

في الحال الى الرقص. لكنَّ جنان الخجولة لم تكن تعرف أَحداً، وغلبها الحياء، فانسلت الى وراء الستار. فاذا بها تلتقي فتى هناك وجهاً لوجه فهتفت:

— أوه! سامحني!

أَجاب الفتى، وقد تورّد وجهه من الخجل:

—عفواً يا آنستي! لا بأْس عليك! أَنا مسرور جدّاً الآن، اذ وجدت مَن أَتكلم معه.

وردت جنان باسمة:

—لكني أَعرفك. أَنت هو لوري، وقد أَرسلت لنا زهوراً وحلوى في العيد.

فأَخذ لوري يضحك بدوره، وزال غشاءُ الخجل. وراح الفتى والفتاة يتحدثان طول الوقت وهما واقفان الى النافذة: فقصّ لوري على جنان حكاية رحلة قام بها الى فرنسا، وحكى بضع عبارات بالفرنسية. ثمَّ دعاها الى الرقص، واستدرجها نحو المقصف Buffet. وهكذا مضت السهرة بكثير من السرور، غير أَن زهرة كانت تتمنى في تلك السهرة لو كان لها حذاء بكعب عالٍ، ولو ان شعرها كان حرّاً وهي تدور في حلقة الرقص.

كانت جنان فتاة بعيدة الهمة: فقد أَخذت تؤلف كتاباً. لاجل ذلك كانت تنفرد في غرفة



المؤونة وتشتغل. ولم تجد هناك غير رفيق واحد: هو جرذون أليف كان دائماً يقرض فتات الخبز عند قدميها، وهي آخذة في الكتابة.

في ذات يوم على أَثر خصام بينها وبين أمينه افتقدت مخطوطة الكتاب فلم تجدها. فراحت تصرخ وهي تنزل الدرج قائلةً:

— مَن أخذ كتابي؟ أنت أَخذته يا أمينة؟ ردّيه إلي، ردّيه حالاً!

أَجابت أَمينة بلا اهتمام:

— لم يبقَ معي أيُّ كتاب، لقد أَحرقته.

فاستسلمت جنان للبكاء، وصعدت الى

المكان الذي اتخذته مكتباً لها وجلست هناك وحيدة كئيبة . فوبخت السيدة مارش أمينة توبيخاً قاسياً . فقد قضت جنان سنة كاملة وهي تفكر وتكتب آملة أن تبيع كتابها الى إحدى الصحف . فخجلت أَمينة من عملها وصعدت الى حيث انفردت اختها تسأَلها أن تسامحها :

فأَجابتها جنان :

— اني لا أُريد أَن أَراك . لأَنّ ما فعلته كان عملاً رديئاً . سأَذْهَب واتسلّى مع لوري بالترحلق على الجليد .

فوضعت قبعتها على رأْسها وأَخذت مزحالتيها وخرجت .



فحردت أَمينة وأَخذت تصرخ قائلة :

— وعدتني أَت تأخذني معها .

— لكنكِ سبَّبتِ لها كثيراً من الكدر يا أَمينة ! اركضي وراءَها وعانقيها . فأَنا أُؤكد لك أَنها تسامحك .

فعملت أَمينة بنصيحة أُختها زهرة . لكن ما كادت جنان تراها حتى أَدارت لها ظهرها واسرعت نحو النهر المتجمد يتبعها لوري صارخاً :

— انتبهوا ! هناك خطر ! الجليد ليس قوياً في الوسط !

لكنَّ أَمينة كانت مشغولة بادخال قدميها في

مزحالتيها فلم تسمعه . وبعد دقائق ندمت جنان على قسوتها ، فنظرت الى ورائها لتنبه اختها الى الخطر . فاذا بها ترى أَمينة ، رافعة ذراعيها وتكاد تختفي في شق كبير من الجليد . أرادت ان تنادي لوري لنجدتها فانقطع صوتها من الخوف .

في تلك اللحظة كان لوري ينقض مسرعاً ويصرخ :

— أسرعي ! اقتلعي لوحاً من السياج !

ففعلت جنان بما أَشار لوري ، وكان هو قد ارتمى على الجليد وأَمسك بأَمينة بيد ، وبيده الثانية أَخذ طرف اللوح الخشبي ، كما أمسكت

جنان بالطرف الآخر وجعلاه فوق الفتحة التي في الجليد، فسحبا أَمينة من الماءِ المُثلَّج، وقد أُغمي عليها. فلفَّاها بمعطفيهما وحملاها الى البيت.

كان خوف أَمينة أشد من مرضها. فجعلتها السيدة مارش في السرير ودفَّأَتها بقوارير ملأَى بالماءِ الساخن. أَمَّا جنان فلم تكفَّ عن البكاء وهي تقول:

— هذه غلطتي يا أُمّي! قولي لي! هل عليها خطر من الموت؟

— لا يا بنيّتي الحبيبة! غدا تنهض باذن الله.

لكن، إيّاكِ أَن تنسي هذا الدرس: أَن الحقد هو عيب قبيح. فلولا لوري، لما بقيت أُختك في الحياة حتى الآن.

فراحت جنان تلمس بيدها شعر أُختها الرطب. وكانت أَمينة تفتح عينيها، ودون أَن تقول كلمة تطوّق عنق أختها بذراعيها لتبرهن لها أَنها غفرت لها كل ما مضى.

العطلة

لمّا أَقبلت عطلة الصيف صرحت زهرة بقولها :

— أمّا أنا فقد اشتغلت كثيراً ، واني أَرغب الآن في راحة تامة .

وأَضافَ أَخواتها بصوت واحد :

—ونحن أَيضاً نحتاج الى الراحة .

فأجابت السيدة مارش :

— حسن جدّاً يا بُنيّاتي . ولنجرّب اذن . في أَول اسبوع تصنع كل واحدة منكُنَّ ما تشاءُ .

فبادرت جنان الى كتاب ، وجلست على فرع شجرة تفاح لتقرأَ في هدوءٍ . وبقيت زهرة في دثار البيت كلَّ الصباح. وراحت ثريه تعزف على البيانو ، أَمّا أَمينه فأَخذت تلهو ما طاب لها .

وبعد بضعة أَيام صارت الحرية أَقلَّ عذوبة وجمالاً لدى الأَخوات الأَربع . فان جنان أُصيبت بضربة شمس لطول ما قرأَت وهي جالسة على فرع شجرة التفاح. واشترت زهرة قطعة قماش لتخيطها فستاناً ، وعرفت — لكن متأَخرةً — أنها من صنف رديءٍ جدّاً. وثارت عصبية ثرية لأَنها لم تتوصَّل إلى معرفة كل ما تريد أَن تعرفه من الأَشياء دفعة واحدة. أَمّا أَمينة ، فقد لبست

ثوبها الجميل لتذهب الى النزهة في الريف، ففاجأتها زخة مطر، فترطّب ثوبُهَا وذهب جماله.

وكانت السيدة مارش تراقب بناتها فقررت أَن تعطيهن درساً أَخيراً، فقالت:

— اسمعن يا بنيّاتي! غداً سيكون يوم عطلة عند هناء. وأنا كذلك سأبقى خارج البيت طول النهار، تدبرن أُموركن بذاتكن.

لمّا نزلت الأَخوات من غرف النوم في الصباح، لم تكن في المطبخ نار مشتعلة ولا اية ترويقة على المائدة. فأَخذت زهرة على نفسها أَن تدبر الأَمر. فلم يكن جزاؤها خيراً. فقد كشّرت جنان قائلة:

—ان شايك مر، غليته أكثر من اللازم.

وقالت ثريه:

—والبيض ناشف من الصعب أَن نبتلعه.

فخجلت زهرة، وانسحبت الى قاعة الاستقبال، وقد تكاثف فيها الغبار. فبدلاً من أَن تمسحه أَغلقت الزجاج لكي لا يراه أَحد. وقالت جنان إنها ستمضي الى السوق، واقترحت أَن تدعو لوري الى الغداء.

في اللحظة ذاتها، دخلت ثريه باكية، تغمر أَنفها بمنديل.

فسألتها أخواتها :

ــ ماذا حدث لك؟

ــ بيب ، كناري الصغير الحبيب ... مات . نسيته بلا ماءٍ ولا حَب ، فمات من الجوع والعطش . آه ! يا بيب ، يا بيب ، ما كان أعظَم طيشي بالنسبة لك ؟!

وكان الكناري مكوّماً هامداً في زاوية القفص فقالت لها جنان :

ــ أَصغي إليّ يا ثريه ! تضعينه في علبة الدومينو التي تخصني ، وندفنه بعد الظهر ،

بينما كانت جنان منهمكة في إعداد طعام الغداء وقد تحوّل المطبخ الى فوضى لا حدَّ لها ، رنَّ جرس الباب . كانت تلك الآنسة كروكر جاءت تزور اسرة مارش ، وهي عانس عجوز ذات لسان طويل لاذع قلما ينجو أحد من شرّ لسانها . غير أَنَّ السيدة مارش كانت قد أَحسنت تهذيب بناتها ، فدعون الزائرة الى تناول الغداء .

أَمَّا الطعام فقد جاءَ مصيبة حَقّاً : الهليون كان ناضجاً أَكثر ممّا يجب ، والبطاطا لا تزال نيئة غير ناضجة ، ومرق السلطة مالح جدّاً ، والعِجَّة كان مزجها رديئاً . فتورّد وجه جنان من الخجل . وبدا

النفور على وجه الآنسة كروكر ، أَمَّا أَمينة فراحت تحاول أَن تكتم ضحكها قدر المستطاع . لوري وحده ، كان يتظاهر بأَنه يأْكل من قلبه .

«من حسن الحظ أَن التحلية كانت من الفريز المعقود بالكريما والسكَّر» ، هذا ما استطاعت ان تقوله جنان أَخيراً .

لكن ما كادت ثريه تتناول أول ملعقة من الكريما ، حتّى كادت تختنق .

فصرخت جنان متسائلة باكية :

— أوه ! هل هناك مصيبة أُخرى ؟

أَجابت زهرة وهي ترفع يدها الى السماء !

— ليس هنالك اية مصيبة غير أنك وضعت ملحاً بدل السكَّر .

في هذه اللحظة ، لم يعد لوري قادراً أَن يتحفَّظ فأَطلق ضحكة رنانة ، ومثله فعل الجميع ، فقبلت جنان ما جرى بروح رياضية طيبة وضحكت هي بدورها . ولم يبقَ أَحد عابساً غير الآنسة كروكر التي ما كادت تخرج من الدار حتّى وزعت الحادث على كل الجيران .

وبعد الظهر جرى دفن بيب المسكين في بقعة من حديقة البيت مفروشة بأَعشاب وأَزهار ، فوضعت ثريه على قبره بلاطة من حجر كتبت

عليها: «هنا يرقد بيب. توفي في ١٧ حزيران، كان محبوباً جدّاً»

ومضى باقي النهار في اعادة النظام الى البيت بعد تلك الفوضى الهائلة التي سادت عليه منذ الصباح. وكانت الاخوات قد اكتفين من القيام بالخدمة المنزلية ورحن يحضرن العشاءَ من خبز، وقهوة بحليب.

ولمّا عادت السيدة مارش خاطبت بناتها على الأَثر:

—أَجل يا بُنَيَّاتي، هل تردن اكمال التجربة الى النهاية؟

فاجابت الأَخوات الأَربع بصوت واحد:

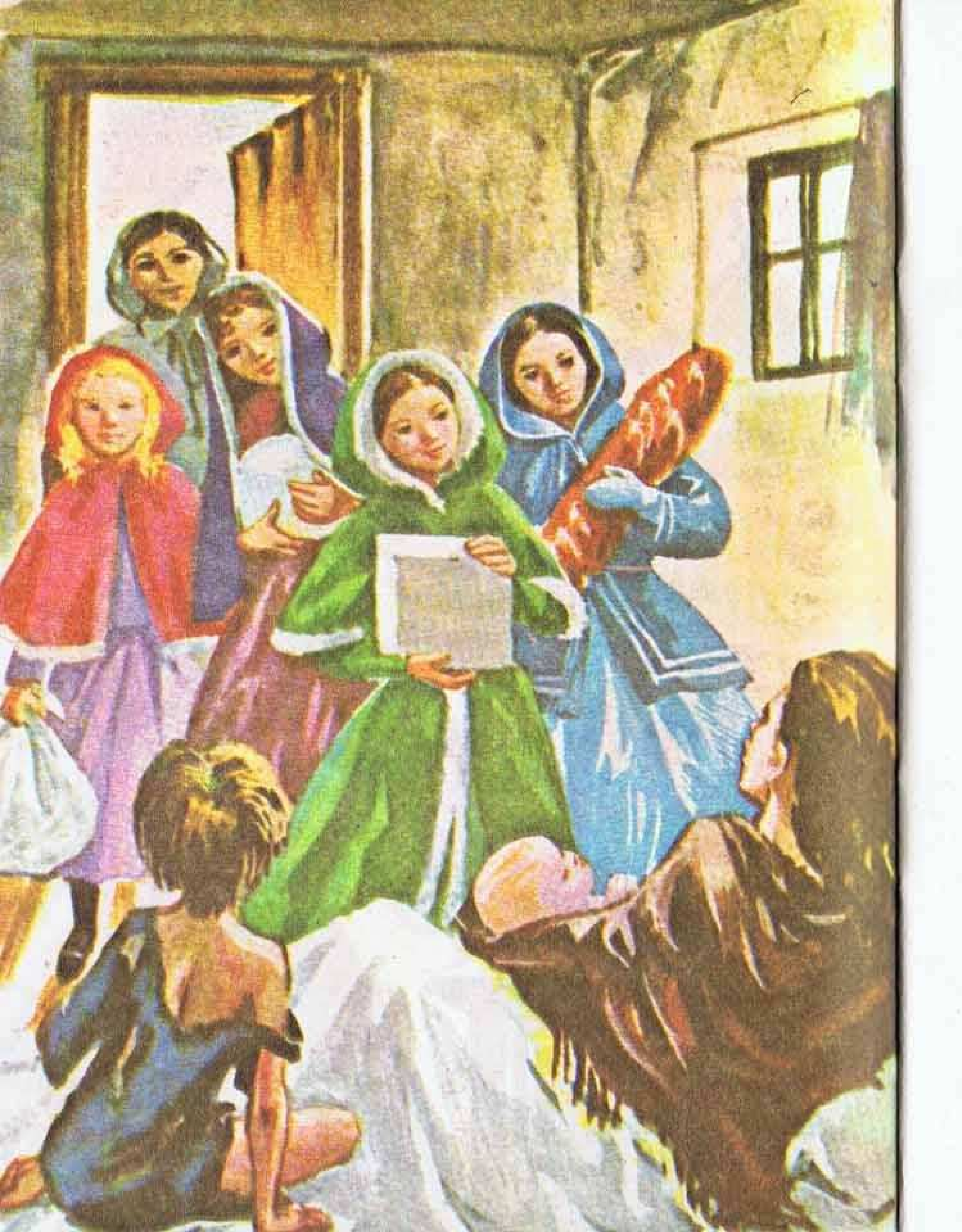
—أُوه، لا، لا، يا ماما!

عندئذ قالت الأُم بلهجة طيبة:

—رأَيتُ أَنكُنَّ قد عرفتنَّ الآن، أَنَّ على الانسان ان يشتغل وان يلهو لكي يكون سعيداً.

ولم تنسَ الفتيات هذا الدرس، ومضت العطلة الصيفية بفرح وسعادة بين العمل واللعب.

في آخر شهر تشرين الأَول، قامت جنان برحلة سرية. فارتدت معطفها وانسلت من البيت بدون أَية ضجة، حاملةً حزمة تحت



إبطها. فأَخذت الناقلة الى المدينة المجاورة، وبخطى سريعة توجهت نحو بناء. وصلت الى بابه ووقفت حائرة: لم تجرأْ على الدخول، وبعدهما ترددت فترة طويلة حزمت أَمرها أَخيراً ودخلت. وما طال وقت حتى خرجت موردة الوجه، وقد تخلصت من حزمتها. وإذا صوت يسأَلها:

ــ ما كنت تصنعين هنا؟

والتفتت جنان في دهشة. فاذا هو لوري قد جاءَ إلى المدينة لشراء ما يحتاج اليه من أشياءَ، وقد رآها تقف مترددة أَمام الباب، فبدا له أَمرها غريباً.

ـــأقول لك ما جئت أَصنع ، إذا وعدت بان لا تقوله لأَحد .

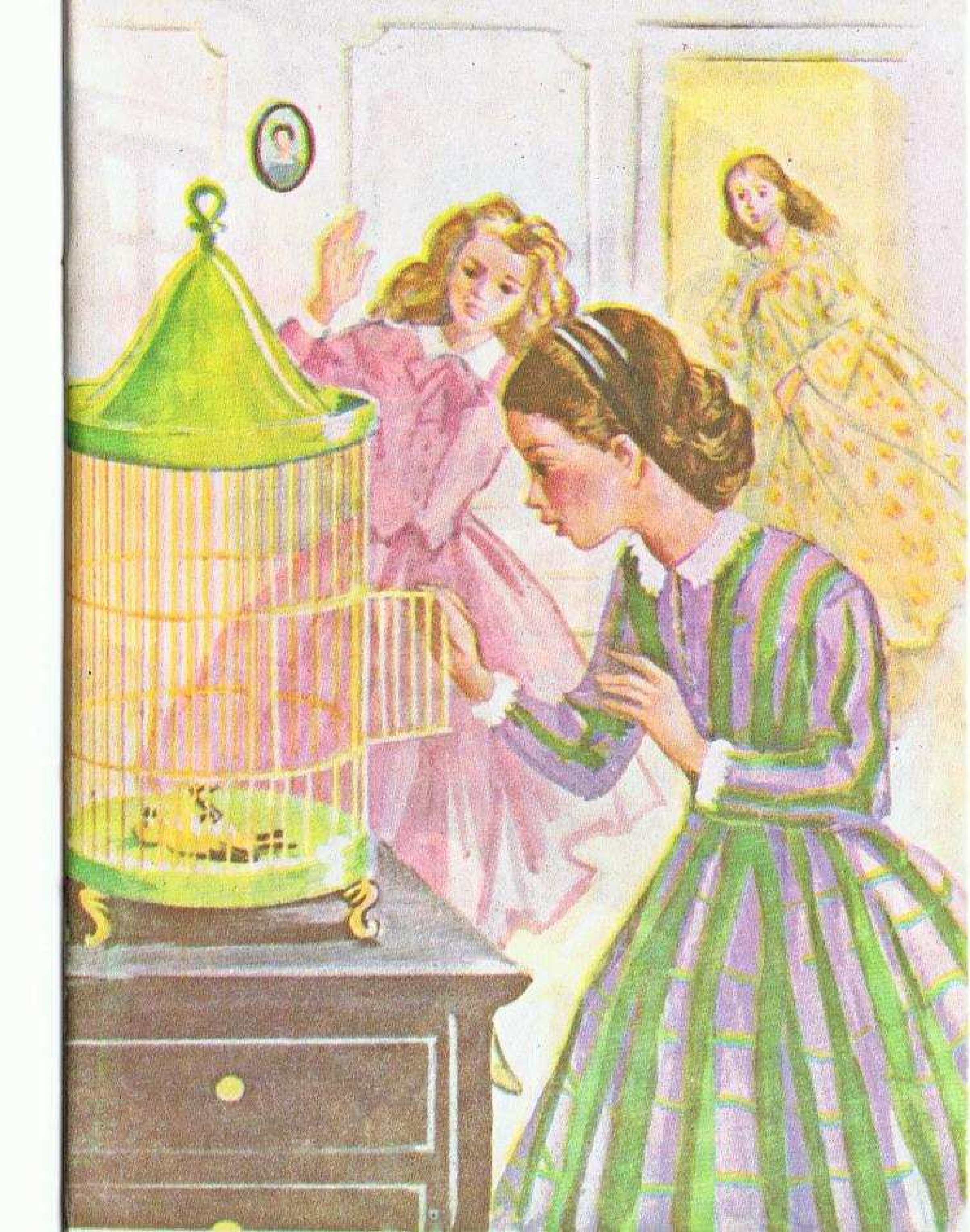
فوعدها لوري على الفور . فقالت :

ـــاذن ، إليك ما جئت من أَجله . فقد أَلفت كتاباً جديداً وسلمته الى ادارة جريدة أَحداث . فاذا كان مناسباً في الأُسبوع القادم سيمثل للطبع .

فهتف لوري بلهجة طيبة :

ـــأو ! فلتحيَ الآنسة مارش الكاتبة المشهورة !

فقالت جنان بلهجة هادئة :



—صَهْ يا لوري ! علينا أَن لا نفرح كثيراً قبل الموعد .

في صباح السبت التالي بادرت جنان الى شراء الصحيفة . فاذا قصتها منشورة فيها . فنقلت الخبر الى والدتها واخواتها ووجهها يشرق بالفرح . دهشن جميعاً لهذه المفاجأَة وعانقتها كلُ واحدة بدورها مهنئة ...

أخبار سيئة

في يوم قاتم الجو من تشرين الثاني ، استلمت السيدة مارش برقية تنبىءُ بأَن زوجها أُصيب بجراح وصدر الأَمر بنقله حالاً الى المستشفى في واشنطون . فأَخذت الأُسرَة كلُّها تبكي . فقالت الوالدة :

—تشجعنَ يا بُنيّاتي . فاني ذاهبة الى هناك في صباح غد ، متكلة عليكُنَّ في أُمور البيت . تصرَّفن تصرُّف فتيات عاقلات واعملن جيّداً في غيابي .

لمّا بلغ الخبر السيد لورنتز العجوز ، جاءَ في الحال ، يصحبه حفيده لوري. وقال للسيدة مارش :

— كوني مطمئنة الى شؤون بناتك ، يا عزيزتي ، سأَسهر عليهن كأَنهن بناتي.

وصافحت السيدة مارش يده شاكرة فأضاف :

— وإلى ذلك ، إن كنت بحاجة إلى المال ، فاني بكل سرور أَرجو أَن تقبلي مساعدتي.

لمَّا سمعت جنان هذه الكلمات ، لبثت لحظة تفكر. ثُمَّ نهضت على الأَثر ، وبدون أَن تنبس

بكلمة وخرجت. وعادت بعد هنيهة ، ودون أَن ترفع قبعتها عن رأْسها وضعت خمسة وعشرين دولاراً على ركبة والدتها التي دهشت لامرها وقالت :

— هذه القيمة الزهيدة تساعدك على العناية بوالدنا وعلى نقله الى ما بيننا في أَقرب فرصة.

فهتفت الأُم على الأَثر:

— لكن ، من أَين جاءَك هذا المال يا ابنتي؟

أَجابت جنان :

— لا تخافي يا أُمي ! أَنا لم استعطِ من أحد ...

ولم أَسرق. كل ما في الأمر أَني بعت شيئاً يخصني شخصيّاً.

ورفعت قبعتها عن رأسها، وعيناها مملؤتان بالدموع، فصرخ الكل صرخة واحدة:

—شعرك! شعرك الجميل يا جنان!

أَجابت جنان:

—أَجل، لقد بعته فلماذا البكاء؟ انى بذلك فخورة، واحسن عندي أَن يكون شعري قصيراً فاني امشطه بلحظة.

فضمتها السيدة مارش الى صدرها وعيناها تسكبان دموعاً قائلة:

—لم يكن من الضروري أَن تقدمي على هذه التضحية. غير أَنَّ أَباك سيكون سعيداً حين يعلم ما مقدار محبة ابنته له.

ما كاد يطلع الفجر حتى كانت عربة السيد لورنتز مستعدة للسفر. كانت قلوب الجميع كبيرة حقّاً، لكنَّ العيون لم تستطع أَت تمسك دموعها، حتى غابت العربة عن النظر.

فقالت هناء:

—والآن يا آنساتي، من المستحسن أَت تأْخذ كُلٌّ منكن فنجان قهوة ساخنة. بعد ذلك تنصرفن الى العمل إكراماً لوالديكن.

في أثناء اسبوع كامل، كان تصرّف الأَخوات الأَربع مثلاً في الطاعة والهدوء والتعقل. ثمَّ وردت أَنباءُ عن تحسن صحة الوالد، فأَخذن يتراجعن شيئاً فشيئاً الى عادتهن القديمة نسيت جنان أن تضع قبعتها على رأسها فأصابها وجع رأْس وزكام. وانشغلت أَمينة بالرسم ناسية وظائفها المدرسية. وراحت زهرة تقضي الساعات مفكرَة ذاهلة عن شغلها. ثريه وحدها حافَظت على وعدها لأُمها. وبعد عشرة أيام قالت لزهرة:

ــ عليك أَن تقومي بزيارة السيدة حومل، كما أَوصتنا والدتنا.

أَجابت زهرة:

ــ اني تعبة جدّاً. لا أقدر اليوم على الذهاب.

فتوجهت ثريه، نحو جنان، فأَجابت:

ــ كنت اذهب دائماً لزيارتها يا ثريه، لكني اليوم مصابة بزكام، وبوجع رأْس وطفلها مريض ولا أَدري ما أَصنع له.

ثُمَّ اتفقت الأَخوات الثلاث على القول:

ــ اذن، غداً نذهب جميعاً.

فسكتت ثريه، ولم تعد الى الحاحها على

أَخواتها. بل لبست معطفها بكل هدوءٍ وخرجت وعادت متأخرة، على ملامحها حزن، وفي عينيها احمرار. فسأَلتها جنان بلهجة قلقة:

— ماذا حدث لك؟

— مات طفل السيدة حومل على ذراعيَّ، بينما كانت أُمه قد ذهبت لتعود بالطبيب.

فصرخت زهرة وجنان ملتاعتين:

— مسكين! الطفل الحبيب!

أَضافت ثريه:

— كان المنظر مؤلماً حزيناً، بعث صرخة، ثُمَّ

همد بلا حراك. كان لا يزال على ذراعي لمّا وصل الطبيب. قال لي انه كان مصاباً بحمى الحصبة، فاذا كنت تحبين أَن لا تنتقل اليك العدوى فعودي الى بيتكم.

فصرخت زهرة:

— يا الله! لم تنقطعي عن الذهاب الى بيت حومل من يوم سفر والدتنا!

وأسرعت في طلب هناء

فقررت هناءُ في الحال ان ترسل امينة الى العمة مارش العجوز لكي تسعى في نقل المريضة الى مستشفى الأَمراض المعدية، فاحتجت أمينة

على هذا الرأْي ، ولكنها كانت مجبرة أَن تطيع أَمَّا زهرة ، وجنان اللتان كانتا قد أُصيبتا بالحصبة من قبل فلم يبدُ عليهما خوف.

كانت ثريه قد أَخذت عدوى المرض منذ أيام ، ولم تقل شيئاً للسيدة مارش لئَلاَّ تزيد في قلقها. غير أَن زهرة وجنان انصرفتا الى العناية باختهما كل الانصراف. وفي خلال بضعة أَيام أَخذت حالُها تتأَخر ، فقد قلق الطبيب ، وأَخذ يعودها مرتين في اليوم.

كان أَول كانون الأَول يوماً مشؤوماً. ريح ثلجية تعصف خارجاً ، وتتلاعب بنثار التثلج.

وقد فقدت ثريه وعيها ، فاعلن الطبيب ان الساعة التي يجب ان تُدعى فيها السيدة مارش قد أَتت. ثُمّ صرّح لزهرة قائلاً :

— نحو منتصف الليل ، سترتفع حمى المريضة الى حدّها الأَعلى ، وبعد ذلك لا بد ان تتحسن حالتها. واني سأَعود أَيضاً.

بدأَت السهرة. وجلست الأَخوات حول سرير اختهن المريضة. وكانت عيون زهرة وجنان عليها دائماً ، لا تفارقانها لحظة واحدة. نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل ، كانت جنان قد حولت نظرها الى الخارج ، فسمعت صوتاً خفيفاً : فاذا زهرة تبكي بكاءً هادئاً ، وتقول :

«يا الهي ! هل ماتت ثريّا ! »

لكنَّ جنان راحت تحدّق الى جبهتها ، فاذا الأَمر على خلاف ما بدا لأُختها ، فثريه أَحسن حالاً : لأَوّل مرة بعد أَيّام عديدة لم يبقَ وجهها شديد الاحمرار ، كما كان قبلاً ، ويظهر أنها نائمة نوماً هانئاً .

وبعد قليل جاءَ الطبيب وجس نبض المريضة الصغيرة ثم نظر الى أَخواتها وقال :

ـــأُبشركن يا عزيزاتي ، بأَنَّ اختكن نجت من الخطر .

في اليوم التالي وصلت السيدة مارش ، فكان قدومها أَشبه شيءٍ ببزوغ الشمس بعد العاصفة .

وهذا عيد جديد

ثُمَّ أَتى صباح العيد يحمل في طيّاته بُشرى عظيمة .

فقد وصل لوري مثل هبوب الريح ، بعد ظهر اليوم السابق للعيد ، وما كاد يدخل الى قاعة الاستقبال حتّى هتف :

ـــاني أُبشر اسرة مارش بأَعظم هدية من هدايا العيد .

وعلى الأَثر دخل سيد كبير ملتفّاً بمعطفه ما فوق اذنيه : كان ذاك هو الدكتور مارش .

كان تأْثير المفاجأَة عظيماً جدّاً ، حتّى ان

السيدة مارش بدت وكانها لا تعي. فترامى الجميع على الطبيب، حتى كادت تأْكله القبلات من كل جانب. بينما راحت هناء تبكي من الفرح وهي في المطبخ تعد الطعام.

أَفضل وليمة عيد كانت وليمة ذلك اليوم، فقد نضج ديك الحبش أَحسن نضج، وغطست أَمينه في طبق الحلوى مثل ذبابة في مجمع العسل.

والآن، ندع هذه الأُسرة في أَفراحها، فقد تكون لنا عودة اليها في كتاب آخر.

* * *


بنات الدكتور مارش الأربع